كتاب الأسبوع

صفحات عن مصر في مائة عام

من هوجة عرابي.. الى الحركة المباركة.. كتاب جديد لأحمد طلعت يصدر في يوليو القادم..

.... وأحمد طلعت سياسي مصري معارض كان عضوا بالمكتب السياسي لحزب الاحرار المعارض وأمينا لصندوق الحزب.. وقد ترك الحزب ليكون احد مؤسسي حزب المستقبل «تحت التأسيس» وصدرت له سبعة كتب في السياسة والاقتصاد..

تأليف : أحمد طلعت

عرض : سامي عمارة

عن تسمية الكتاب يقول احمد طلعت: كنت اسمع جدتي - وأنا طفل صغير - تتحدث عن هوجة عرابي اذا ما ارادت ان تروى لنا جانبا مما جرى في مصر ايام الاحتلال البريطاني.. ولم تكن جدتي تتحدث - بفطرتها - عن ثورة..

... وفيما بعد يوليو من عام ١٩٥٢ سمعت الرئيس محمد نجيب يخطب في احد الاجتماعات الشعبية فقاطعته الجماهير هاتفة تحيا الثورة.. ورد محمد نجيب على الفور: لا تقولوا ثورة.. بل قولوا الحركة المباركة.. ومن كلمات جدتي... وكلمات محمد نجيب اخترت عنوان هذا الكتاب..

.. والكتاب من القطع المتوسط ويقع في ٢٦٨ صفحة وصفحاته ترجع الى احداث التاريخ القريب..

يقول احمد طلعت: وليس مقصدنا ان تكون هذه الصفحات كتاب تاريخ.. وان كنا سوف نضطر - من خلال السياق - الى استعراض بعض وقائع التاريخ - لكن مقصدنا ان نتحدث عن الديموقراطية التي ارتبطت - منذ بداية الحركة الوطنية في وجدان الشعب المصرى بقضية الاستقلال بحيث اصبحت المطالبة بالاستقلال تعنى - في نفس الوقت - المطالبة بالحكم الديموقراطي..

..... لقد اعلن في عهد الرئيس السادات ومن خلال حملته لاظهار الحكم بمظهر ديموقراطي عن تشكيل لجنة لاعادة كتابة التاريخ برئاسة نائبه في ذلك الوقت السيد حسني مبارك، وكانت بداية اعمال اللجنة - ككل اللجان - مليئة بالحيوية محاطة بهالة من البريق الاعلامي، وتصور الكثيرون من ابناء الشعب انه قد حانت ساعة الانصاف للاموات من الوطنيين..

وانتقلت اللجنة بالفعل الى بعض زعماء ماقبل الثورة من الاحياء في ذلك الوقت كما انتقلت الى بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ممن اعتبرهم السادات من المعتدلين او المتعاطفين مع قيادته الجديدة، وجمعت اللجنة بعض المستندات، وسجلت عشرات الاشرطة روى فيها من انتقلت اليهم اللجنة معلوماتهم عن الفترة السابقة لثورة يوليو ١٩٥٢ والفترة اللاحقة لقيام ثورة يوليو.

.. وتوقفت اعمال اللجنة لانشغال اعضائها، او لان موضوع اللجنة قد استنفد اغراضه الاعلامية.

ومع اننا ممن يؤمنون بان التاريخ لا تكتبه لجان وانما التاريخ نسيج يغزل كل كاتب او صاحب راى خيطا في سداه او في لحمته الا اننا كنا - مثل الكثيرين غيرنا - نعلق املا على هذه اللجنة في تصحيح بعض الوقائع..

.. كنا ننتظر من اللجنة - مثلا - ان تسجل ان سعد زغلول كان زعيما وطنيا كبيرا.. وان تسجل لاحمد ماهر دوره الوطني في محاربة الاستعمار الذي وصل الى قمته من خلال موقفه في احداث يوم ٤ فبراير من عام ١٩٤٢، وكنا ننتظر من اللجنة ان تسجل دور محمود فهمى النقراشي في تنظيم المقاومة السرية ضد قوات الاحتلال في ايام شبابه، ودوره في تحدى الامبراطورية البريطانية فوق منصة مجلس الامن الدولى في عام ١٩٤٦..

.. وكنا ننتظر من اللجنة مثلا ان تسجل المواقف الوطنية لمصطفى النحاس منذ نفته قوات الاحتلال الى جزيرة سيشل وحتى الغائه للمعاهدة المصرية مع بريطانيا في عام ١٩٥٠..

.. وغير هؤلاء كثيرون... وكثيرون..

ويضيف احمد طلعت: ولأن التاريخ لا تكتبه لجان.. ولان اللجان لم تكتب شيئا على الاطلاق.. فان المسئولية تفرض على كل صاحب قلم ان يغزل خيطا في نسيج التاريخ.. على أمل ان تتجمع يوما هذه الخيوط.

.. لذلك فان هذه الصفحات سوف ترجع الى احداث التاريخ القريب.

.. الفصل الاول من الكتاب تحت عنوان قبل مائة عام وفيه يتحدث احمد طلعت عن ثورة عرابي.. أو هوجة عرابى كما جاء في تسمية كتابه..

يقول أحمد طلعت: في الحادى عشر من شهر يوليو عام ١٨٨٢ ضربت مدافع الاسطول البريطاني مدينة الاسكندرية ونزلت الجيوش البريطانية الى الاراضي المصرية لتخوض عدة معارك مع الجيش المصرى.. بقيادة احمد عرابى - تنتهي باحتلال بريطاني لمصر استمر اربعة وسبعين عاما..

وتناول المؤرخون مقدمات ضرب الاسكندرية بالتفصيل وانقسموا - كما هي عادة المؤرخين - الى عدة مجموعات، بعضها يضع المسئولية الكاملة على عاتق احمد عرابى وانقلابه على الخديوى الذي ادى الى الاحتلال، وبعضها جعل من عرابى زعيما وثائرا وطنيا لم تتحقق هزيمته واحتلال بلاده الا نتيجة لخيانة البعض او لنصيحة خبيثة اسداها له فردنان ديلسبس، او لتآمر بين الخديوي والقوات الغازية...

شعب قاوم جيوش الاحتلال

وعن هذه النقطة من الحديث لابد ان نسجل ان شعب مصر لم يستقبل الاحتلال البريطاني مستسلما او منهارا... لكن شعب مصر قد قاوم جيوش الاحتلال وخاض امامها معارك، ربما لم تنته بانتصاره لكنها - بكل تاكيد - قد اثبتت انه شعب حى وانه لم يكن جثة هامدة.. وحارب شعب مصر جيوش الاحتلال في كفر الدوار والتل الكبير بقدر ماكان متاحا له من امكانيات.

.. ولان الزعماء دائما هم التعبير الانساني عن ضمائر الامم وامال الشعوب فقد كان ظهور مصطفى كامل في هذه الفترة الحالكة من التاريخ المصرى هو التعبير عن عزم الشعب المصرى على مكافحة الاستعمار واستعادة الاستقلال الوطني..

ويتحدث احمد طلعت عن هذه الفترة، وعن ظهور مصطفى كامل فيقول: هكذا اخذ مصطفى كامل منذ عام ١٨٩٥ يكرس كل جهده لخدمة القضية الوطنية وتحريك الروح الوطنية في قلوب المصريين والتي

كانت تدعو الى أمور ثلاثة على وجه الخصوص.

التوسع في التعليم - احياء مجد الصناعة المصرية - المطالبة بالحكم الدستورى. ويرجع الفضل الى مصطفى كامل في خلق جيل من الوطنيين المصريين في تلك الفترة، واليه يرجع الفضل في الدعوة الى فكرة انشاء الجامعة المصرية.. الى جانب تاسيس الحزب الوطني في عام ١٩٠٧.

.. واذا كان القدر لم يمهل مصطفى كامل لمواصلة الكفاح.. باسم الشعب المصرى.. اذ وافاه اجله في العاشر من فبراير عام ١٩٠٨ الا ان رفيق جهاده محمد فريد قد رفع الراية من بعده وبدأ رئاسته للحزب الوطنى بتبني مطلب اساسي للجماهير هو: الدستور والحياة النيابية.

بين الاستقلال والديموقراطية

.. وهنا يجب ان نتوقف قليلا لنؤكد على امر هام هو ان الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد قد ربط - في تعبيره عن المطالب الوطنية - بين الاستقلال والديموقراطية..

ويتناول المؤلف في الفصل الثانى ظهور الزعيم سعد زغلول واعتقاله ورفاقه ونفيهم الى جزيرة مالطا ومطلب الشعب المصرى الذي لخصه الوفد في ندائه بانه «الحصول على الاستقلال التام واقامة حكومة وطنية دستورية في مصر..»

.. وكان نفى سعد ورفاقه هو الشرارة التى اوقدت الثورة الشعبية.. ولم تفلح القوة الغاشمة في وقف المظاهرات وانما ضحى الناس بارواحهم وسقط عدد من الشهداء مما زاد المجاهدين تمسكا بحقوقهم ومطالبهم الوطنية..

واضطرت الحكومة البريطانية الى ادراك ان سياسة القوة والبطش لن تجدى مع شعب مؤمن بحقه فاصدرت قرارا بالافراج عن سعد زغلول ورفاقه في اوائل ابريل من عام ١٩١٩، كما اضطرت الى التفاوض معه.

وبدات حركة المقاومة الوطنية.. وتعرض بعض الانجليز المقيمين في مصر للاغتيال، واضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار تصريح من جانب واحد سمى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ بموجبه اعلن انتهاء الحماية البريطانية على مصر وان تكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة.

وبعد أن صدر التصريح البريطاني باستقلال مصر نادت الاصوات جميعا وعلى اختلاف أرائها واتجاهاتها بتشكيل لجنة لوضع دستور يساير احدث نظريات الفكر الديموقراطي في العالم المتحضر ومحققا لاقصى ما تامل به الشعوب المتقدمة من ضمانات الحرية والسيادة..

واجتمعت لجنة الدستور التى مثلت كافة الاتجاهات الفكرية السائدة في المجتمع المصرى وقتها الى جانب عدد من فقهاء القانون ورجاله ووضعت خلال عام واحد مشروع الدستور الذي صدر في ١٩ ابريل من عام ١٩٢٣ والذي كان - بكل المقاييس - مفخرة من مفاخر الديموقراطية وتاكيدا لسلطة الشعب.

اعادة بناء الوطن من الداخل

وفي فصل آخر يتحدث احمد طلعت عن تشكيل سعد زغلول لاول حكومة ديموقراطية في ظل الدستور واعلان الحكومة اهداف العمل الوطني في هذه الفترة باستكمال الاستقلال واعادة بناء الوطن من الداخل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا..

.. وعلى هذا الطريق اسس طلعت حرب بنك مصر في عام ١٩٢٠ وانشا البنك عدة شركات صناعية وتجارية كبرى كان لها اعمق الاثر في انعاش الاقتصاد القومى وصبغه بالصبغة الوطنية.

ويتحدث المؤلف عن عهد مصطفى النحاس وتوقيع المعاهدة.. ثم الغائه المعاهدة مع بريطانيا في عام ١٩٥٠.

... ثم يتحدث عن احمد ماهر فيقول: كان احمد ماهر يعلم ان كفاح الشعب المصرى من أجل الاستقلال الكامل قد مر بطريق طويل، وينتظره، ايضا طريق طويل.... فمنذ ثورة ١٩١٩ ثم الغاء الحماية على مصر بموجب تصريح ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وحتى توقيع معاهدة ١٩٣٦ خطت مصر خطوات واسعة على الطريق، لكنها لم تصل بعد الى نهايته.

... فتصريح ٢٨ فبراير الذي اعترف باستقلال مصر مع تحفظات اربعة قد حقق لها اعلان الدستور واقامة حياة برلمانية ديموقراطية انتهت بسعد زغلول الى مقعد رئاسة الوزارة..

ومعاهدة ١٩٣٦ اعترفت باستقلال مصر - واكدته - وهى معاهدة معقودة بين دولتين كلتيهما ذات سيادة.

ويتناول احمد طلعت قيام حركة الضباط الاحرار والظروف التى ادت لقيام ثورة ٢٣ يوليو.. وخروج الملك من مصر.. واصدار قانون تحديد الملكية الزراعية ومطالبة مجلس الثورة الاحزاب بتطهير نفسها في اشارة واضحة الى انه لم يكن راضيا عن قيادات تلك الاحزاب.. وحل الاحزاب..

ثم تناول اعلان الثورة يوم ١٦ يناير ١٩٥٣ فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات واعلان الجمهورية وسقوط الحكم الملكى في ١٨ يونيو ١٩٥٣.

... ويتناول احمد طلعت هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر بالنقد القاسي وهو بذلك يخالف ماجاء في مقدمة كتابه من انه يحاول ان يسجل للاجيال القادمة كلمة يعتقد في انها حق ويثق في انهاامانة وصدق... فهو لم يسجل وقائع تاريخية عن هذه الفترة... لكنه حاول ان يشرحها بسكين حادة..

... والكتاب.. كتاب جيد فعلا.. فالكاتب يحاول ان يسجل تاريخ فترة هامة من حياتنا.. يحاول ان يسجل كفاح الشعب المصرى في هذه الفترة.. ويتناول حياة وتاريخ كل زعيم من الزعماء الذين ظهروا منذ ثورة عرابى وحتى ثورة يوليو... لكنه في نفس الوقت لا يتناول الفترة منذ قيام يوليو بنفس الحياد الذي تناول به الفترة من ثورة عرابى الى ثورة يوليو..